تحلیل حدیث فی مجال عُمر زائر الحائر الحسینی علیه‌السلام بحثاً عن جواب شبهة

عبد الرضا سمیعی*

المقدمة

إنّ بعض الروایات تضمّ معنی یدفع القارئ نحو انکارها و عدم القبول حیث یکاد یتعارض مضمونها و ضوابطَ دینیة اعترف الجمیع بصحتها اویکاد یرفضها عقل العقلاء و ما شابه ذلک. علی سبیل المثال قد ورد فی المصادر الاسلامیة هذا الحدیث: اِنّ الله خلق آدم علی صورته[1]، فالقارئ عندما یقرؤه فهماً لمعناه یقارنه مع معلوماته الدینیة الاخری فیجد انه فی تنافٍ واضح مع اصوله الاعتقادیة من أنّ الله لیس بجسم[2] و لایشبهه شیء[3] و ما الی ذلک فیمیل الی انکاره تجنبا من رد اصوله الاعتقادیة المسلمة.

---

* المتخرّج من مدرسة الشهیدین (ره) و الاستاذ فیها

۱. الکلینی، *الکافی*، ج۱، ص ۳۲۸.

۲. همان، ص ۲۵۳.

۳. همان، ص ۲۱۶.

المحدثون يسمّون هذه الاحاديث بغريب الحديث و يقصدون من ذلک أنها تختلف عن نهج الروايات العام حيث تنفرد فی بعض الابعاد كالبعد اللغوی او الدلالی و الی غير ذلک.

من الاحاديث التی يمكننا ان نعتبرها غريبة، حديث ينقله ابن قولويه فی كامله عن الامام الصادق عليه السلام حول عمر زائر الحسين عليه السلام حيث قال:

إِنَّ أَيَّامَ زَائِرِی الْحُسَيْنِ(عليه السلام) لَا تُحْسَبُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ وَ لَا تُعَدُّ مِنْ آجَالِهِمْ.[۴]

هذا الحديث يُصبّ فی اطار فضائل الامام الحسين عليه السلام[۵] و يدلّ على أنّ الله يمنّ على من يزور قبره الشريف بزيادة عمره و يؤجّل أجله. و ما يستنتج منه القارئ ليس الا أن الزائر من بدء انطلاقه نحو الحائر الحسينی حتی عودته منه صار آمناً من الموت خلال رحلته هذه، حيث اضيف الی عمره بقدر ما يستغرق سفره ذهابا و عودة[۶] إلا أنّ الذی نلمسه و نعيشه لايصدّق هذا الوعد المبارک بل ينكره تمام الانكار لانه كثيرا ما نری أنّ زوار الحسين عليه السلام يتوفون خلال رحلتهم و نظرا الی تفشّی فكرة السلفية الارهابية من اغتيال الزوار صار قبول هذا اسهل و اصبح امرا ظاهرا و بارزا .

و هذا التنافی بين المضمون و الواقع هو الذی يدفع القاری للانكار و نحن نعتبره شبهة لابد من حلها . والان يجب البحث عن حل مقنع لهذا التنافی.

اصل البحث:

و وصولا الی الحل نمرّ بمراحل البحث الثلاث من البحث السندی و الدلالی و ذكر الحلّ:

---

۴. جعفر بن محمد ابن قولويه، *كامل الزيارات*، ص ۱۳۷.

۵. محمد باقر بن محمد تقی المجلسی، *ملاذ الأخيار فی فهم تهذيب الأخبار*، ج۹، ص ۱۱۲.

۶. محمد بن حسن الحر العاملی، *الفوائد الطوسية*، ص ۴۵۹.

۱. البحث السندی

قبل الخوض فی دراسة سند الحدیث، نذکر مصادر الحدیث تسهیلا للدراسة؛

بناء علی أن المتاخرین من المحدثین قد اعتمدوا علی مصادر الحدیث القدیمة فنحن فی غنی عن دراسة أسانیدهم و ینبغی الرجوع الی معتمداتهم مباشرة، اذاً رغم أن الفیض الکاشانی فی الوافی[۷] و الشیخ الحرّ العاملی فی الوسائل[۸] و الفوائد الطوسیة[۹] و المجلسی الاول فی الملاذ[۱۰] و المجلسی الثانی فی البحار[۱۱] ینقلون هذا الحدیث الا حسب تصریحاتهم و أسانیدهم قد تلقّوا الحدیث إما من تهذیب الشیخ[۱۲] (کما فعله الفیض و الحر العاملی) و إما من کامل الزیارات[۱۳] (کما فعله المجلسیان) فلابد ان نرکّز الاهتمام الاساسی فی دراسة سندی الکتابین بالاضافة الی مزار الشیخ المفید[۱۴] حیث کتابه هذا یحتوی علی الحدیث ایضا علی أن المتاخرین ما اخذوا منه.

و مما یسهّل امر دراسة سند الحدیث أن الشیخ الطوسی[۱۵] و الشیخ المفید[۱۶] صرّحا فی سندیهما بانهما کذلک قد تلقّیا الحدیث من کامل الزیارات ما یضیّق نطاق بحثنا السندی فأُقتصر فی سند کامل الزیارات.

---

۷. الفیض الکاشانی، *الوافی*، ج۱۴، ص ۱۴۶۷.

۸. محمد بن حسن الحر العاملی، *وسائل الشیعة*، ج۱۴، ص ۴۱۴.

۹. محمد بن حسن الحر العاملی، *الفوائد الطوسیة*، ص ۴۵۹.

۱۰. محمد باقر بن محمد تقی المجلسی، *ملاذ الأخیار فی فهم تهذیب الأخبار*، ج۹، ص ۱۱۲.

۱۱. محمد باقر بن محمد تقی المجلسی، *بحار الأنوار*، ج۹۸، ص ۴۷.

۱۲. محمد بن الحسن الطوسی، *تهذیب الأحکام*، ج۶، ص ۴۳.

۱۳. جعفر بن محمد ابن قولویه، *کامل الزیارات*، ص ۱۳۷.

۱۴. محمد بن محمد المفید، *المزار*، ص ۳۲.

۱۵. محمد بن الحسن الطوسی، *تهذیب الأحکام*، ج۶، ص ۴۳.

۱۶. محمد بن محمد المفید، *المزار*، ص ۳۲.

و بما أن سلسلة سند الكامل تتشكل من الحسن بن على بن زكريا العدوى و هيثم بن عبد الله الرمانى المجهولين نستنتج ضعف سند الحديث ما يُبعد الحديث عن ساحة الاعتبار كما أنه افضل ذريعة لتاييد الشبهة.

لكن نظرا الى أن كبار المحدثين[۱۷] من عصر ابن قولويه الى زماننا الراهن قد نقلوا الحديث و اخذوه بنظر الاعتبار لم نتاكّد من عدم صدور الحديث و لم نعد نصرّح بذلک.

۲. البحث الدلالى

مع غضّ النظر عن البحث السندى و نتيجته أيّاً كانت، فعلينا ان نفهم مراد الحديث الحقيقى ما احتمله الشيخ الحر احتمالين[۱۸] نكتفى بذكر اقربهما و هو ان الله سبحانه بفضل زيارة الحسين ذهابا و عودةً يمدّ فى عمر الزائر بقدر سفره[۱۹] و تاييدا لهذا المعنى يذكر احاديث عن تهذيب الشيخ مثل ما قال الامام الباقر عليه السلام: مرو شيعتنا بزيارة الحسين فإن اتيانه يزيد فى الرزق و يمد فى العمر[۲۰] فالمراد من الحديث، مدّ عمر الزائر.

۳. ذكر الحلّ

من الذين فكّر فى دفع الشبهة و قام بالبحث عن حلّها، الشيخ الحر فى فوائده

---

۱۷. من الشيخ المفيد و الشيخ الطوسى و ابن المشهدى و الفيض الكاشانى و المجلسى الاول و المجلسى الثانى و الشيخ الحر و الى آخر ذلک.

۱۸. محمد بن حسن الحر العاملى، *الفوائد الطوسية*، صص ۴۵۹ و ۴۶۰.

۱۹. همان، ص ۴۵۹.

۲۰. محمد بن الحسن الطوسى، *تهذيب الأحكام*، ج۶، ص ۴۲.

الطوسیة، حیث یذکر لدفع الشبهة اجوبة ستة[۲۱] و مراعاةً للاختصار نکتفی بجوابین:

الجواب الاول: ممّا یعترف به المحدّثون أن هناک عناصر دینیة تلعب دورا مباشرا و اساسیا فی زیادة العمر کما ان هناک عناصر تنقص العمر علی سبیل المثال مَن یَانس بروایات العلاقات الاجتماعیة یعرف جیدا أن صله الرحم و برالوالدین، لهما آثار مباشرة دنیویة[۲۲] بما فیها زیادة العمر الی ثلاثین سنة کما یعرف ان القاطع للرحم و العاق للوالدین یصابان بنقص ثلاثین سنة من عمرهما[۲۳]، هذا من جانب و من جانب آخر تکاد تجتمع فی الزائر عناصر مختلفة زیادة و نقصانا بینما تکون عناصر النقصان اقوی مناطا من عناصر الزیادة فیتغلب علی عناصر الزیادة ما ینتهی الی توفی الزائر.[۲٤]

الجواب الثانی: حسب الروایات الشریفة فإنّ زائر الحائر الحسینی یحظی بآثار عدیدة و مختلفة من زیادة العمر و زیادة الرزق و غفران الذنوب و الجنة و غیر ذلک الا أنّ هذا لا یعنی أنّ کل من زار الحسین یرزق هذه الامور کلها بل حسب الحکمة الالهیة کلُ فرد یحصل علی اثر او اثرین او اکثر لا کلها و الذی یموت فی طریقه ربما قد حصل علی آثار أخری دون زیادة العمر.[۲۵]

---

۲۱. محمد بن حسن الحر العاملی، *الفوائد الطوسیة*، صص ۴۶۱ و ۴۶۲.

۲۲. سید حسین شرف الدین، *تحلیلی اجتماعی از صله رحم*، صص ۱۷۸– ۱۹۶.

۲۳. محمد بن الحسن الطوسی، *الأمالی*، ص ۴۸۰.

۲۴. محمد بن حسن الحر العاملی، *الفوائد الطوسیة*، ص ۴۶۱.

۲۵. همان، ص ۴۶۱.

المنابع و المآخذ

۱. ابن قولویه، جعفر بن محمد، *کامل الزیارات*، نجف، دار المرتضویة، ۱۳۵٦ش.

۲. الحر العاملی، محمد بن حسن، *الفوائد الطوسیة*، [بی‌جا]، اصیل، ۱٤۳۲ق.

۳. .....، *تفصیل وسائل الشیعة إلی تحصیل مسائل الشریعة*، قم، مؤسسة آل‌البیت علیهم‌السلام، ۱٤۰۹ق.

٤. شرف الدین، سید حسین، *تحلیلی اجتماعی از صله رحم*، قم، بوستان کتاب، ۱۳۸٦ش.

۵. الطوسی، محمد بن الحسن، *الأمالی*، قم، دار الثقافة، ۱٤۱٤ق.

٦. .....، *تهذیب الأحکام*، تهران، دار الکتب الإسلامیه، ۱٤۰۷ق.

۷. الفیض الکاشانی، محمد محسن بن شاه مرتضی، *الوافی*، اصفهان، مکتبة الامام أمیر المؤمنین علی علیه‌السلام، ۱٤۰٦ق.

۸. الکلینی، محمد بن یعقوب، *الکافی*، قم، دار الحدیث، ۱٤۲۹ق.

۹. المجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، *بحار الأنوار بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار علیهم‌السلام*، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، ۱٤۰۳ق.

۱۰. .....، *ملاذ الأخیار فی فهم تهذیب الأخبار*، قم، مکتبة آیة الله المرعشی النجفی، ۱٤۰٦ق.

۱۱. المفید، محمد بن محمد، *کتاب المزار - مناسک المزار*، قم، کنگره جهانی هزاره شیخ مفید، ۱٤۱۳ق.